خاتمة

عرض لتطور حوقف أفلاطون في الفن والدين

مما سبق نستطيع القول بإن حضارة اليونان فى المقام الأول حضارة فكرية أنارت لكثير من الحضارات طريق العلم ، والفلسفة، والفن.

وقد أسهمت بقسط وافر فى الفن ، حيث نجد المسارح ، والتماثيل القائمة حتى الآن أبرز دليلا على ذلك ، مر الفن فى اليونان بمراحل عدة على أيدى " هوميروس" ، و " هيزيود " ، ثم " ايسكيلوس " ، و " سوفوكليس ، و " أريستوفانس" ، حتى أصبح على شكله الحالى ، وإليهم يرجع الفضل فى التأليف المسرحى ، والديكور.

وتعد أعمال هؤلاء الفنانين بمثابة مرجع يحتوى على عادات ، وتقاليد ، وأفكار واتجاهات الشعب اليونانى القديم.

كما ظهر إلى جانب الإتجاه الفنى إتجاه آخر فلسفى يحمل بين طياته أفكارا دينية، وإن كانت فى البداية تعتمد إعتمادا كليا على التفسيرات المادية ، إلا أنها اتخذت فيما بعد إتجاها آخرا نحو تفسيرات روحية ، مثل إتجاه العقيدتين " الأورفية" و " الفيثاغورية" ، وقد تأثر بتعاليمهما رائد الفكر اليونانى سقراط وأفلاطون.

من الملاحظ أن السمة الدينية كانت من أهم المفاهيم التى بحث عنها سقراط ، والتى من أجلها أعدم ، إلا أنه نبه الأذهان إلى ضرورة البحث فيما هو موجود أمامنا وداخلنا ، والمقصود به الإنسان . بالإضافة إلى أنه أتى بشىء جديد لم تعهده الفلسفات السابقة عليه وهو البحث عن معنى الشىء ذاته ، وأوضح أن هناك اختلافا كثيرا

بين ذلك الشيء ، وبين مايدل عليه ، وذلك لم يكن إلا لمواجهة التيار السوفسطائي الذى كان منتشرا بث فساده بين الناس وابتدع سقـــراط منهجا جديدا لمقاومة ذلك الإنحراف ، وهو قائم على التهكم ، والتوليد ، وذلك يتم بتطهير نفس المتحدث من المعلومات الخاطئة وإبدالهـــــا بمعلومات أخرى صحيحة .

لم يترك سقراط شيئا مكتوبا ، لأنه يرى أن العلـم لايلقن بل لابـد أن يكون نابعا من ذات الانسان .

لذلك قام تلاميذه ، بكتابة تعاليمه ، ومن أبرزهم فيلسوفنا "أفلاطون" وتتضـح لنا ملامح شخصية كل من سقراط وأفلاطون فى تلك المحاورات التى كتبهـا الأخير ، وأعزى الجزء الأول منها إلى أستاذه .

نلمح فى المحاورات الأولى شخصية "سقراط" كمتحدث رئيسى تـــدور حوله المحاورات ، كما نلاحظ أنها تهدف إلى هدف دينى سواء كانـــت تلك المحاورات تبحث عن مفهوم معين ، أو فى السياسة ، أو الأخـــلاق أو الفن ، إلا أنها فى النهاية تبتغى الوصول إلى درجة عالية مـــــن الكمـــال ، والخـير .

ثم يتضاءل دور "سقراط" تدريجيا مع تقدم العمر "بأفلاطون" حيث يبدأ فى نشر آرائه دون الحاجة إلى التخفى .

فى محاورات فترة الشباب نجده يختفى وراء ستار شخصية سقـــراط وتلك كانت لمحة تتصف بالذكاء من أفلاطون حتى يستطيع بث آرائه بطريق غير مباشر فى عقول الأثينيين .

من الملاحظ أن أفلاطون فى هذه المحاورات ركز جهده فى بحث فكرة المثال ، وأوضح أن عالم المثل يختلف عن العالم الحسى ، كما أوضح أن طبيعة النفس تختلف عن طبيعة الجسد وأن لها ثلاثة مراتب على قمتها النفس العاقلة ثم الغضبية وأخيرا الشهوانية.

وأتى بالدليل والبرهان على أن النفس خالدة والجسد فانى ، وأن الإنسان له حياة سابقة على الحياة التى يعيشها فى العالم الأرضى ، وأن هذا العالم فى تحول مستمر من حالة إلى نقيضها.

وفى عالم المثل ترتكز ثلاثة مثل ، وإليها يوجع كل شىء فى الوجود وهى :ـ مثال الخير بالذات ، والجمال بالذات ، والحق بالذات، وهى مثل عقلية لادخل للمادة فيها ، كما أنها قائمة بذاتها.

تركزت نظرية أفلاطون فى مثال الجمال بالذات على محاولة الإرتقاء بمفهوم الجمال الذى نراه أو نحسه ، حيث نراه يرتقى فى البداية كل فكرة من شأنها المحاكاة ، على أساس أن الظواهر الجمالية التى نراها ماهى إلا نسخة ثانية مشوهة لعالم الجمال الأمثل إذ أن تدخل المادة ، وتعدد الصور، والأشكال أفسد من المفهوم الحقيقى للجمال ، وعلى هذا الأساس رأى أن الغديد من الفنون الموجودة فى عالمنا المادى، إنما هى فنون لا أخلاقية، لأنها تزيد من إرتباط الانسان بالأرض وخاصة أنها فى هذه الحالة محاكاة المحاكاة ، ولذلك نراه فى كثير من محاوراته يركز هجومه على الفن بما فيه من تمثيل ، أو شعر أو خطابة ، أو رسم ،

إلا أننا نلاحظ أن الموسيقى لم يكن لها نفس القدر من الهجوم ، لأنها في رأيه تسمو بالمشاعر الإنسانية ، ولذلك جعل الدور الأول لها في تربية النشء في مدينته المثالية ، ورغم ذلك أخضعها لقواعد معينة حتى تكون وسطا بين النعومة والخشونة ، وأن تبتعد عن التعقيد الذي يسببه تعدد الآلات الموسيقية .

كما هاجم فن التمثيل على أساس أنه ينحدر بالقيم والمفاهيم الأخلاقية والدينية ، ويؤدي إلى التلاعب بعواطف المشاهدين ، وإلى تقييد العقل بما يراه من مشاهد تمثيلية تؤدي أحيانا إلى تأثر شخصية المشاهد بما يراه .

وقد كان الهجوم على الفن واضحا في هجومه على الشعراء الذين يبتعدون عن الحقيقة ، ويصورون الأوهام على أنها واقع ويلبسون الآلهة أثواب البشر ، وينسبون لأنفسهم أمجادا لم تكن ، ويفسحون الطريق لخيالهم وينطقون بالألفاظ البراقة الرنانة ، ويستخدمون الشعر وسيلة للكسب لا أكثر ، غير مكترثين بأهمية الموهبة ، أو الوحي والإلهام .

رأى أفلاطون أن الإلهام هو أساس الفن الصادق ، وأنه بدون ذلك الإلهام يصبح الفن صورا وعبارات جوفاء خالية من المعاني الروحية الصادقة .

ولا يقتصر الأمر فقط على هجومه على الشعر والشعراء ، وإنما هاجم أيضا من يعتقد في صدقهما ويترك عقله يقع أسيرا لبريق الكلمات الكاذبة التي يتفوه بها الشعراء .

كما هاجم الخطابة التى تقوم على الإدعاءات الكاذبة ، واستخدام الكلمات استخداما خاطئا ، بالإضافة إلى أغراضها التى من شأنها أن ترفع من شأن إنسان لايستحق ، أو تهبط بإنسان آخر لمجرد أن هذا دفع أجرا باهظا ، وذاك لم يدفع شيء . أى أن الخطابة تحولت إلى سلعة تجارية . كذلك تأثيرها السيء على كثيرين من الأفراد ، وذلك باستخدام التملق ، والنفاق ، إلا أن هذا الهجوم أيضا لم يكن على الخطابة ذاتها ، وإنما على الأساليب المتبعة فى ذلك العهد .

وهو فى الحقيقة هجوم على السوفسطائية التى كانت منتشرة تبث سمومها الفكرية فى عقول الضعفاء والجاهلين بمعنى الحقيقة ، كما هاجم أيضا الرسم لنفس السبب الذى أبداه فى هجومه على الشعر ، وذلك لأن الرسم ، أو فن التصوير إنما هو محاكاة ثالثة لنسخة ثانية مشوهة تحاكى الأصل .

هجوم أفلاطون على الفن عامة كان مستمدا مما عايشه من إسفاف وإنحطاط فى الفن الذى كان سائدا ، والذى تعرضت لجزء منه فى الفصل الأول ، بالاضافة إلى الأسلوب الذى اتبعه السوفسطائيون .

كما جعل للإلهام دور فى الحكم على حقيقة وصدق الفن الناتج عنه . ولكن هل كان أفلاطون محقا فى إضفائه تلك الأهمية على الوحى والإلهام ، والذى تبدو وكأنها السبيل الأوحد للقيام بأعمال فنية ، أو معرفة صادقة ؟

كان أفلاطون مدفوعا إلى هذا القول نتيجة لإعتقاده أن كل شيء تتدخل فيه المادة ، أو الأفكار الزائفة "المتعلقة بالمادة" غير حقيقي ، إذ أنه كان يهدف إلى أن تظل فلسفته بمنأى عن العالم الأرضي نتيجة لما رآه من إنحطاط في الحياة اليونانية ، ولذلك أرجع كل شيء إلى الله ، فالحب منبعه مثال الجمال ، والحكمة منبعها مثال الخير ، وكل مايتصل بالإنسان من شعور سامي مرده إلى الخير بالذات ، ولذلك أراد ارجاع كل ماهو صادق ، وحقيقي إلى الله ، وتلك كانت وجهة نظره .

إذن هل تصح تلك النظرة إلى الإلهام في عصرنا الحالي ؟

نستطيع ملاحظة أن الالهام إذا كان يأتي إلى فرد معين ويكسبه سمة النجاح ، إلا أنه ليس من الضروري أن يلازمه طيلة حياته ، ولذلك لابد للإنسان الملهم أو صاحب الموهبة من شيء آخر يثبت به إلهامه ، وذلك الشيء هو الصنعة الفنية وقد أشرت اليها آنفا .

الفرق الأساسي بين الإلهام كما قال به "أفلاطون" والإلهام كما يراه بعض المفكرين المحدثين والمعاصرين في مجال الفن والعلم ، إن أفلاطون كان يرى في الإلهام عملية إعطاء الموضوع بجملته ، وذلك لأن هذه الموضوعات كلها قد سبق للنفس أن عاينتها في حياة سابقة ، ولهذا فإن جهد المتلقي للإلهام يكون بسيطا ومتواضعا ، إذ هو لايخرج عن عملية إيقاظ النفس فتتذكر ماسبق أن رأته في وجودها السابق في عالم المثل .